أسلوب الاقتباس القرآني في شعر السُّجون لعبد الملك بن إدريس الجَزيري الأندلسي

The Citation of the Holy Quran in the prisons poetry of Abdul Malik bin Idrees Aljaziari Al- Andalusi.

دکتور سید سیار علی[i] دکتورہ سائرہ گل[ii]

Abstract

The Qur'an is viewed to be the scriptural foundation of Islam and is believed to have been revealed, without issue, to Muhammad (PBUH) by the angel Gabriel. It is a fountain of knowledge and eloquence.

Abdul Malik bin Idrees Aljazairi (1004 AD) was born in Andalus. He was the minister of Mansoor bin Abi Amir (1003 AD), the great emperor of Andulus in Ummaya`s Era. He was a great poet and writer of his age in Arabic literature.

He was prisoned by the king Mansoor for his interruptions in government matters. Then he wrote a long poem of 219 verses from his prison to the king for apology and mercy. The main theme of his poem is advice to his children and apology to the king. He wrote the poem with some metrical rhyme and rhythm as well as he strengthened his poetry with the citation of the Holy Quran and Hadith.

In this paper I am intended to present the beauties of Citation in the prisons poetry of the famous Undalucian poet Abdul Malik bin Idrees al Jzari. It is called Qabas, a flame of fire, and borrowed to seek knowledge, in which speaker includes his words - poetry or prose was - something from the Qur'an, or the modern, on the face of it does not have notice that from the Qur'an or hadith.

Keywords*: Citation from the Holy Quran, Prisons poetry of Abdul Malik bin Idrees al Jzari.*

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى الخولاني الأزدي الأندلسي، أمَّا نسبته "الجزيرى" فهو منسوب إلى جزيرة الخضرآء في الأندلس، و نسبته "الخولاني" إلى بني خولان، و هو خولان بن عمر، و أمّا نسبته إلى " الأزد" فهو قبيلة من أشهر قبائل العرب و أعظمها تنسب إلى الأزد بن غوث بن مالك.[1]

نشأ و برز فى العلم والأدب و اشتهر في الجزيرة الخضرآء و لعب دوره في الكتابة و الشعر، فاتبوأ منصب كبير الكُتَّاب لدى الحاجب المنصور بن أبي عامر، و صاحب ديوان الإنشاء في عهد حكومته، و بعده قام بخدمات ابنه عبد الملك المظفر بن المنصور. و ذكر بعض الأدباء الّذين ترجموا له بأنّه من أبلغ كُتّاب الأندلس في دولة المنصور بن أبي عامر، و لا بُدَّ من غزيرة العلم إلى بلوغ هذه المرتبة العلمية والكمال الّتي حظت لدى المنصور بالوزارة و الكُتّابة على عادة حكام الأندلس وأمرائها.

---

[i] -محاضر الدِّراسات الإسلاميّة في جامعة صوابي، صوابي، باكستان

[ii] -أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية بجامعة إسلامية كالج بشاور

سبب دخوله في السِّجن

قد سُجن الجزيري و ذاق طعم الاعتقال مرتين، أولاهما في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر و الثانية في عهد عبد الملك المظفر حتّى قُتل خلف القضبان في زنزانة السِّجن المطبق بالزاهرة.[2]

الاعتقال الأوّل على يد المنصور

أمَّا سبب اعتقال الجزيري في أوّل مرّةٍ هو الفخر و الغرور و الاغترار و هو كان يظنُّ نفسه أنَّه صار يحتل المكانة العالية و الرفيعة و أنَّ المنصور بن أبي عامر لا يستطيع أن يستغني عنه لِأنّه صار مقرباً عنده، و قضى مدّةً تحت ظلّه و في كنفه، و غداً كاتبه و رئيس ديوان الإنشاء لديه، فغضب عليه المنصور أشدُّ غضباً، و نقم عليه نقمةً، فسجنه مدّةً في المطبق بالزاهرة، هي الزنزانة التي تحت الأرض. و رضي عنه بعد ذلك الخليفةُ و أطلق سراحه لما حمِد حاله في الرياضة و لم يزل يتولى له ديوان الرسائل إلى أن هلك المنصور.[3]

سجنه المنصورُ في سجن المطبق بالزاهرة مدة فاستعطفه من الرسائل و الأشعار بما أثمر تسريحه و جعلت السبب لِأطلاقه من السّجن. أمَّا الأشعار الَّتي فسُر بها المنصور هي:

عجبت من عفو أبي عامرٍ لا بُدَّ أن تتبعهُ منَّهْ

كذلك اللهُ إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنّهْ[4]

قد سجن المنصور الجزيري ليكون درساً نافعاً له، و مكافأة للذنب الّذي اقترفه، وقد استعطفه الجزيري بالشعر، ثُمَّ صفح بعد عنه و أطلق سراحه و أخرج من السِّجن المطبق ورد عليه ما كان اعتقل من ماله.

الاعتقال الثاني على يد عبد الملك المظّفر بن أبي عامر

أمَّا سجن عبد الملك الجزيري في مرّةٍ ثانيةٍ هو في عهد عبد الملك المظفر بن أبي عامر، حُبس في غياهب السِّجن بالمرّة الثانية لمدةٍ قليلةٍ حتّى دخل عليه قوم من السودان في زنزانته و خنقه.

قال صاحب الذخيرة عن سبب اعتقاله على يد عبد الملك المظفر و موجزها ما يلي:

قد ولّى المظّفر بن أبي عامر أمور دولته عيسى بن سعيد القطّاع، فحسده رجالٌ، منهم عبد الملك الجزيري، و تأمر الحاسدون عليه مع طرفه فتى المظّفر، و عزموا على التخلص من عيسى، و لكنّه أحسّ بما دبّروا له، و عزموا عليه فأسرَّ إلى المظّفر بالأمر،و بيّنَ له أنَّ هولآء زيّنوا لطرفه أبّهة الملك و أنَّ هدفهم سُدة الحكم، فدبّر المظّفر للقبض عليهم، و نجح تدبيره و أمر بحبس الجزيري في مطبق الزّاهرة، و انتهز عيسى بن القطاع الفرصة، فكتب إلى مفرّج العامري و عبد الملك بن مسلمة و كانا من أعداء الجزيري، و حرّضهما على إبادته، فأدخل عليه في مطبقه قومٌ من السودان فخنقوه، و أشيع موته و أخرج ميتاً بعد أيّام، و أسلم إلى أهله و لا أثر به، و دفن في شوال سنة أربع و تسعين و ثلاث مأئة.[5]

القيم الخلقية في شعره السِّجون

كتب أبو مروان الجزيري الرسالة الشعرية في الآداب و السُّنّة من وراء الأبواب السوداء، و سجنه بنى على قمّة الجبل، و هو المكان الموحش لا تأوي إليه إلا الغِربان الناعقة، و هي من أطول القصائد الّتي مشتملة على تسعة عشرة و مأتين أبيات، مقتبسٌ من القرآن الكريم و الأحاديث النبوية و أرسلها إلى بنيه و نصحهم بها و وعظهم و خاصةً منهم خاطب ابنه الأصغر كما قال:

مئتان زادت تسع عشرة وافقت تجبرها مثلٌ لكلِّ مجبّرٍ[6]

و كما قال:

وإذا الفتى فقد الشباب سما له حب البنين و لا كحبّ الأصغر[7]

تأثره من القرآن الكريم

القرآن الكريم مصدر من المصادر الأساسية لِأدب الإسلامي و شريعته، و حدّد الله تعالى به معشر الإنس و الجن على أن يأتوا بمثله و لو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً، فما أتوا بمثله و لا يستطيعون أن يفعلوا في زمن من الأزمنة.

قد ورد في القرآن الكريم من الأساليب الّتي ما كان الناس يعلمون قبل ذلك هذه الأساليب الجديدة و الرائعة، فمالوا إليه الشعراء و الأدباء يقتبسون منه حسب مقتضياتهم، و ارتعوا منه في حالة الحرّيّة و الاعتقال، فمن الشعراء السُّجناء في الأندلس عبد الملك بن إدريس الجزيري قد اقتبس من القرآن الكريم و أحسن به شعره السُّجون.

كما قال:

يأوي إليه كلُّ أعورٍ ناعقٍ و تهبُّ فيه كلَّ ريحٍ صرْصرِ[8]

وصف الشاعر معتقله و كان محبسه على قمّة الجبل، و هو المكان الرهيب الموحش، لا تأوي إليه الغِربان الناعقة، أي الغراب الّذى يتشاؤم به،[9] لِأنَّ الأعور عند أهل الأندلس مشؤومٌ.[10]

و كان يصف في الشطر الثاني من البيت حالة سجنه، كما ذكرتُ أنَّ محبسه على إرتفاع الجبل فلا يهوي فيه إلا الريح الشديدة الباردة المهلكة.

إنَّ شعر الجزيري يدُلُّ على أنَّ الشاعر السجين قد اعتقل في الشتاء و في البرد القارس، قرّسته الهواء و الريح الشديدة في زنزانته، و فسّر شدّة البرودة باقتباس من القرآن الكريم و هي " وَ أمَّا عَادٌ فَأهلِكُوا بِريحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"[11].

قال الرازي في تفسير الآية: الصرصر، الشديدة الصوت لها صرصرة، و قيل الباردة من الصر كأنّها الّتي كرر فيها البرد، و كثر فهي تحرق بشدة برودها.[12]

قال الطبري: أمّا عادٌ قوم هود، فأهلكهم اللهُ بريحٍ صرْصرٍ، و هي ريح مهلكةٍ باردةٍ، عتتْ عليهم بغير رحمةٍ و لا بركةٍ.[13]

قد اقتبس الشاعر باقتباس النصّي، و هو ما يلتزم فيه الشاعر بلفظ النص القرآني و تركيبه.[14]

أقول في تحقيق المقام أنَّ الشاعر يريد بهذا الاقتباس ثلاثة أغراضٍ و هي:

أ: إنّه يستعير من قوة الاقتباس القرآني قوةً، ليقوي به معنى شعره و مراده.

ب: و يكشف عن مهارته الجليلة في تعليق كلامه بالكلام المقتبس.

ج: قد شبّه الشاعر الريح الشديد الّتي تهوي في معتقله بريحٍ صرصرٍ مهلكةٍ باردةٍ، التّي هلك الله بها قوم هود عليه السلام، و ما خرج من اطار بلاغيٍ و استمد بتشبه بليغٍ، فحذف أداة الشبه و جهه لِأنَّ الشاعر يريد به المبالغة و الإغراق في ادعاء أنَّ المشبه (هواء الريح في المعتقل) هو المشبه به (الريح الصرالصر) نفسُه، و أمّا غرضه من حذف أداة الشبه لكى لا تدل على أن المشبه أضعف من المشبه به، و أهمل ذكر وجه الشبه لِأنَّ بعض صفات المشبه تتضمن صفات المشبه به، و هي وصف الهلاكة و البرودة والشدّة في الهواء. و ما هذا إلا تعبير ألمه و صعوبته في الغرفة الدامسة.

بِرّ الوالدين و وسعة الرحمة

قال الشاعر خلف القضبان الحديدية و هو ينصح لبنيه و يعظهم أن لا يشقوا على الوالدين و لا يقولوا لهما قولاً غليظاً:

ثم اقضِ حق الوالدين و قم بما فرض الكتاب عليك منه و ابدر

أوسعهما بِرّاً و لا تنهرهما و امنحهما قولاً كريماً و اشكر

و اخفض جناحك رحمةً لِكليهما تمهد لنفسك لو فعلت و تذخر[15]

إنَّ الشاعر قد اقتبس من آيات القرآن الكريم و هي " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَينِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرِ أَحَدُهمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَّ لَاتَنْهَرْهُمَا وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَ اخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيْرًا"[16]

قال "و اخفض جناحك رحمةً" في الاقتباس استعارة مكنيّة لِأنَّ إثبات الجناح للذل يخيل للسامع أنَّ ثمّة جناحاً يخفض و المراد ألن لهما جانبك، و تواضع لهما تواضعاً يلصقك بالتراب. و الجامع بين هذه الاستعارة و الحقيقة أنَّ الجناح الحقيقي في أحد جانبي الطائر . و أن الطائر إذا خفضت جناحه و هو الَّذي به يتقوى و ينهض انحط إلى الأرض و تلوث بالحضيض و لصق بالتراب فالاستعارة مكنيّة إذا شبهت لينة الجانب بخفض الجناح بجامع العطف و الرِّقة.

وضع الميزان بالقسط

قال الشاعر الجزيري وراء الأبواب السوداء و في الدار الدامس و هو يخاطب بقصيدته الشعرية إلى بنيه أن لا يرتكبوا الكبائر و لا تقربوا الفواحش، و تنزّهوا عن الاثم و العصيان، لِأنّ الله تعالى يضع الميزان بالقسط، و هو ليس بظلّام للعبيد، لا ينقص و لا يكثر و يمحو الله ما يشآء، و يزن الأعمال من الحسنات و السيئات، فمن ثقلت موازينه فاؤلئك هم المفلحون، كما قال الشاعر:

و كذلك الميزان يوضعُ قائماً بالقسطِ و الزلفى لمن لم يخسرِ[17]

اقتبس الشاعر من آية القرآن الكريم و هي " وَ نَضْعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيئاً ط وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ اَتَينَا بِهَا ط وَ كَفٰى بِنَا حٰسِبِينَ.[18]

نصح اولاده بما نصح لقمان

قد كان الشاعر الجزيري تأثر من نصائح لقمان و وعظه لابنه، و قال في غياهب السِّجن:

و اغضض كلامك و امش هوناً و الق من لاقيت طلقاً لا بخدٍّ أصعرِ[19]

قد أخذ الشاعر المعنى من نصائح لقمان و اقتبس ذلك من آية القرآن الكريم و هي " وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ط إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَ اقصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الأَصوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ"[20].

قال الشاعر " و اغضض كلامك" لِأنّ الكلام بصوتٍ مقتصدةٍ خيرٌ من الكلام كمثل الحمار، فنصح بنيه أن لا يتكلموا مع النّاس برفع الصوت مثل الحمير.

أمَّا المشي هوناً، الهون بمعنى الرفق و اللين، السكينة و الوقار، و هذه صفة من صفات عباد الرحمٰن المؤمنين، بأنَّهم يمشون بسكينة و وقار و تواضع، لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً بطراً، كما قال الله تعالى في القرآن " وَعِبَادُ الرَّحمٰنِ الّذِينَ يَمشُونَ عَلَى الأَرضِ هَوْناً"[21]

قال الزمخشري: تصاعر و تصعّر، بالتشديد و التخفيف يقال أصعر خدّه، و المعنى أقبل على النّاس بوجهك تواضعاً، و لا تولهم شق وجهك و صفحته، كما يفعل المتكبرون.[22]

قال الثعالبي: لا تصعِّر خدَّك للنّاس أي لا تعبس في وجوه النّاس.[23] و أصل هذه الكلمة من الميل، كما قال الشاعر:

و كنّا إذا الجبار صعّر خده أقمنا له من ميله فتقوّما[24]

و في مثل هذا المعنى جاء في حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم قال " لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، و لو أن تلقى أخاك بِوجهٍ طلْقٍ"[25]

قدرة الله تعالى على الغفران و التعذيب

عبد الملك بن إدريس الجزيري منع الأولاد عن المعاصي و العصيان، من الصغائر و الكبائر، و من عقوق الوالدين، و الظلم و الغيبة و سُوء الظنّ و الغيبة و الحسد و السُّخريّة و الكذب و البهتان، و وعظهم و نصحهم بكظم الغيظ و إيفاء الوعد و رعاية الأمانة، و قال مُنبّهًا لهم و مهدّداً بأنَّ الله تعالى إمّا يعذّبُ النّاس الّذين ارتكبوا الكبائر و الذنوب، أو يتوب الله عليهم و يغفرلهم ما قد سلفوا و هو القدير الرحيم. قال الشاعر السِّجين الجزيري:

و ذو الكبائر في مشيئة ربِّهم إمّا يعذبهم و إمّا يغفر[26]

اقتبس الشاعر من آية القرآن الكريم و هي " إن تعذبهم فإنَّهم عبادك ج و إن تغفرلهم فإنّك أنت العزيز الحكيم".[27]

أنَّ قصيدة الجزيري الّتي كتبها في السِّجن هي من أطول قصائده، و موضوعها الأساسية هي القيم الأخلاقية و الوعظ و النصح، فنجد الجزيري أكثراً مقتبس من القرآن و الأحاديث النبوية، و هذا يدُلُّ على قوة فهمه و غزيرة علمه و وثيقة صلّته بالقرآن و الحديث، و مع ذلك أنّه كان يبلغ أحكام الله تعالى و سنة رسوله صلى الله عليه وسلّم و له صحوةً فكريّة لِتربيّة الأولاد فلذا أنشد القصيدة من السِّجن و أرسلها إليهم.

ذكر الله تعالى عند المشعر الحرام و العرفات

الشاعر الجزيري كان يمدح الله تعالى رجاءً منه ليطلق سراحه و يتسلّى نفسه بذكره فقال:

أي و الّذى تعلو اللغات بذكره بمنىً و في عرفاتها و المشعر[28]

يشير الشاعر إلى التلبية و التهليل و التكبير و الثناء و الدعوات عند المشعر الحرام و المني و العرفات، و كما نعلم أنَّ المسلمين و المسلمات يأتون إلى الحج و البيت العتيق من كلِّ فجٍ عميق، و يذكرون الله تعالى ذكراً كثيراً باللغة العربية، و يدعون سبحانه و تعالى بألسنتهم و لغاتهم المختلفة، من العرب و العجم.

اقتبس الشاعر من آيات القرآن الكريم و هي " فَإِذَا اَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُاللهَ عِنْدَ المشْعِرِ الحَرَامِ، وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَ إِنْ كُنْتُم مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِيْنَ. .... فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُم فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكم أبآءَكُم أو أشَدَّ ذِكْراً".[29]

تكوين الخلائق و تقديرها

قد خلق الله تعالى الأرض و السمٰوات و كوّنَ الكائنات و الموجودات في ستّة أيّامٍ، و قدّر منازل الشمس و القمر، و كُلَّ شيءٍ عند القادر المقتدر بمقدار، و هدى كلَّ شيءٍ بعد تقديره، و هو الّذى خلق كلّ شيءٍ ثُمَّ هدى.

قد عبّر الشاعر الجزيري خلف القضبان عن التكوين و الخلائق، و أحكم التقدير المقتدر فقال:

قد أوعب التكوين كلَّ مكوّن مذ أحكم التقدير كلَّ مقدَّرٍ

خلق الخلائق كُلّها من قدرةٍ لم يعتضد فيها و لم يستكثر[30]

قد اقتبس الشاعر من آيات القرآنية و عبّر عنها بأبياته التي أنشدها في زنزانة السِّجن، و الآيات هي " وَ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدّرَهُ تَقْدِيراً"[31] " وَ كُلَّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ"[32] " كَذَلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ، وَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير".[33]

قد ذكر الشاعر الجزيري عن قدرة الله تعالى و وصفه بصفات ما يليق بشأنه، و هو السمع و البصر. فقال:

كلا و باريها فليس كمثله شيءٌ يقاس به السميع المبصر[34]

قال الشاعر "ليس كمثله شيءٌ" اقتبسه من آية القرآن الكريم و هي" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَ هُوَ السَّمِيْعُ البَصِيرُ"[35] أي ليس لخالق الأزواج كلها شيءٌ، لِأنّه الفرد الصمد الّذى لا نظير له، و أنَّ السمع و البصر من صفات الله تعالى الذاتية القديمة،[36] أي أنَّ الله تعالى سامعاً للمسموعات و مبصراً للمرئيات.[37]

كُلُّ نفس تموت بقضائها

أنَّ الشاعر الجزيري أحسَّ الخوف في غياهب السِّجن و في زنزانة المظلمة، و كان يتسلّى نفسه بآية القرآن الكريم، لِأنَّ الله تعالى قد ضرب أجلٌ لِكلِّ حيٍّ، و حدَّ لِنفسٍ محدود من الزمان، و الأجل لبعث الموتى و جزائهم على أعمالهم و يرجعون النّاس إلى موقف الحساب، و الميزان. قال الشاعر:

و لكلِّ حيٍّ مدّة فإذا انقضت بدُنوِّ يوم حِمامه لم يُنظرِ[38]

قد أخذ موضوع شعره من آية القرآن الكريم و هي " وَ هُوَ الّذِى يَتَوَفَاكُمْ بِاللَّيلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيْهِ لِيَقْضِيَ أجَلٌ مُسَمىً".[39] " هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أجلًا وَ أجَلٌ مُسَمىً عِنْدَهُ"[40]

المراد من " الأجل" هو أجل الموت، و أمّا المراد من " أجلٍ مسمّى" هو أجل القيامة، و قيل: الأجل الأول في الآية هو ما بين أن يخلق إلى أن يموت، و الأجل الثاني هو ما بين الموت و البعث، و هو البرزخ، و قيل: الأجل الأول هو النوم، و الأجل الثاني هو الموت.[41]

فقال الشاعر أنَّ مدّة القضى و الموت فهو من عند الله تعالى و هو القادر على ما يقول، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون، لا يُنظر و لا يُمكث لِأحدهم، فإن كان ضرب الله أجلي في السِّجن فلا أستطيعُ أن أخرج منه و لا يستطيع أحدٌ أن يطلق سراحي.

أنَّ الجزيري كان ينصح لِبنيه أنَّ مدّة حياتهم، و أيَّامهم في هذه الدنيا الفانية قد كتب لهم الله تعالى فلا تزيد و لا تنقص، لا تتقدَمُ و لا تتأخر، فلِذا وعظهم بخير الأعمال و بأحسن القيم الأخلاقيّة.

التَّجسُّس و الغيبة و سوء الظَّن

التجسُّس و الغيبة و سوء الظَّنِ من المعاصي و الذنوب، فالشاعر يرشد أولاده و هو خلف أبواب السودآء في الدار الدامس لكنّه ما نسي أولاده فيه فربّى بنيه تربية إسلاميّةً، فقال:

لا تلفينٍ متجسِّساً ذا غيبةٍ مُتظَّناً يفضي بما لم يخبرُ[42]

نصح الشاعر بشعره أولاده مستمداً من آية القرآن الكريم و هي " يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اجتَنِبُوا كَثِيراً مِنَّ الظَّنِ إنَّ بَعضَ الظَّنِّ إثمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا يَغتَبْ بَعْضُكُم بَعضاً" [43]

نهى الله تعالى عن ظنِّ السُّوء، فإنَّ ظنُّ السُّوء إثمٌ، و قال لا تبحثوا عن عورات المسلمين و معايبهم و تستكشفوا عمّا ستروه، و لا يذكر بعضكم بعضاً بما يكره في غيبته.

كظم الغيظ و العفو

نصح الشاعر الجزيرى بنيه بكظم الغيظ و العفو عن النَّاس الَّذين مستحقين العقوبة و المؤاخذة فيقول:

و ارفع بكظم الغيظ آفة غيّه فإن استخفك مرّةً فاستغفر[44]

اقتبس الشاعر معنى شعره من آية القرآن الكريم و هي " وَ الكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَ العَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ وَ اللهُ يُحِبُّ المحْسِنِينَ"[45] أمَّا المعنى الآية هو المتجرعين للغيظ الممسكين عليه عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينقمون ممن يدخل الضرر عليهم و لا يبدون له ما يكره بل يصبرون على ذلك مع قدرتهم على الأنفاذ و الانتقام.

منع الشاعر أولاده عن الغيظ و أمرهم بالعفو، و الغيظ[46] هو هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر.[47]

نرى أثر القرآن في شعر السُّجون لِعبد الملك بن إدريس الجزيرى و هذا يدُّل على غزيرة علمه و فهمه و شغفه بكتاب الله تعالى وهكذا هو يدرس درساً تربويّةً أخلاقيّة تلقينها لِأولاده،لكي يعملوا بها ويفلحوا في الآخرة وذلك هو الفوز العظيم.

و هكذا اقتبس الشاعر من آيات القرآنية في كثير من أشعاره، أريد أن أذكر منها بالإيجاز. قال الشاعر:

و احفل بوعدك وارع كلَّ أمانةٍ واختر لنفسك خطّة الوافي السّري[48]
لا تشمتنَّ بمن رأيت بجسمه أو حاله بلوى و لا تتسخّر[49]
وعسى رضى المنصور يسفر وجهه فيُديل من وجه الفراق الأغبر[50]

اقتبس الشاعر في البيت الأوّل من هذه الآية " وَ الَّذِينَ هُم لِأَمَانٰتِهِم وَ عَهْدِهِم رَاعُونَ"[51] و البيت الثاني مقتبساً من " يٰا يُّهَا الّذِينَ اٰمَنُوا لَا يَسْخَر قَومٌ مِن قَومٍ عَسَىٰ أن يَكُونُوا خَيراً مِنهُم..."[52] و يشير في البيت الثالث إلى هذه الآية " وُجُوهٌ يَومَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُستَبشِرَةٌ، وَ وُجُوهٌ يَومَئِذٍ عَلَيهَا غَبَرَةٌ".[53]

أنشد هذه القصيدة في الزنزانة المظلمة و الدار الدامس و أرسل إلى الأمير المنصور بن أبي عامر ليطلق سراحه فاستمد أبياته باقتباسات القرآنية و الحديث النبويّة. أنَّ البيت " و عسى رضى المنصور يسفر وجهه" هذا آخر بيته من قصيدته السَّجنية، فقرء المنصور تمام القصيدة بيتاً بيتاً فأمر بعد ذلك بإطلاق سراح الشاعر و أخرجه من السِّجن المطبق.

الملخص

عرضْنا فيما مضى من صفحاتٍ للمقبوس الشعريّ وصلتِه اللغويّة بأصله القرآني، وما بين المقبوسِ وأصلِه من أوجهِ التقاءٍ وافتراقٍ، ولم كان الالتقاءُ؟ ولم كان الافتراقُ؟ و في هذه الدّراسة نختِمُ بفاصلةٍ نُودِعُهَا أبرزَ ما انتهيْنا إليه، و وقفْنا عليه:

و أيضاً تبيّن لنا أنَّ الشاعر الجزيري وضع كتاب الله تعالى بين عينيه و أخذ منه ما شآء و نصح به أولاده مخاطب لهم و وعظ عامة النّاس الّذين يريدون الاستفادة من شعره السُّجون.

ذكرت الأمثال الكثيرة من شعره الّذى أنشده وراء القضبان الحديديّة المقتبسة من آيات القرآنية فظهر لنا أنّ الشاعر أخذ القرآن بلبه و استأثر بخياله و أفكاره و يوضح تأثره بالثقافة القرآنية.

نرى أسلوب الاقتباس في شعره السُّجون لكنّ هذا التأثر و الأسلوب ليس مقصوراً على الجزيري و الأدب السُّجون بل تأثر الشعراء المشارقة و الأندلسيّة من هذه الأسلوب أكانوا في غياهب السُّجون أو كانوا في حالة الحريَّة كأبي تمام و ابن زيدون الأندلسي الّذى سُجن خمس مئة أيّام في سجن أبو الحزم بن جهور و أرسل إليه رسالةً نثريّة المسمّاة بالرسالة الجِدّيّة، زيّن نص الرسالة بأقتباسات القرآنيّة و هكذا في شعره السِّجن.

أنَّ تأثير الجزيري من القرآن الكريم يدُلُّ على قوّة علمه بمعاني آيات كتاب الله عزّ و جلّ و بفهم ألفاظه و أساليبه فملاء دلوه و غرف منه، فلذا وعظ به أولاده أن يشربوا منه كثيراً و يقطعوا بتلاوته آناء الليل و آناء النهار و يعملوا به لِأنَّ القرآن طريقاً مستقيماً و وسيلة النجاة في الدارين.

اتجه الشاعر إلى الشعر التعليمي و التربوي يدُلُّ دلالة قاطعة على أثر المحنة و الاعتقال فيه، حيثُ لم يفكر في زنزانته المظلمة إلا تربيّة الأولاد و نجاتهم في الدنيا و الأخرة، و هو كان لا يستطيع أن يعطيهم إلا الوعظ و النصيحة و إراءة الطريق إلى صراطٍ مستقيمٍ فقويَ معنى شعره باقتباسات القرآنية.

ظهر لنا عند البحث في شعر السُّجون لِشاعر الجزيري أثر القرآن الكريم فجلى لنا أيضاً أثر الحديث النبويّة بأكثر استعمالاً فيه اذا ما قورن بالاقتباس من الآيات القرآنية. و من الأمر العجيب أنَّ الشاعر اقتبس من القرآن الكريم اقتباساً نصيّاً في الأكثر و اقتبس من الأحاديث النبويّة باقتباسٍ إشاريّةٍ. سأبحث منه إن شآء الله تحت الموضوع " أسلوب الاقتباس الحديثية النبويّة في شعر السُّجون لِعبد الملك بن إدريس الجزيري". والله الموفق و هو المستعان.

الهوامش

[1]- الفتح بن خاقان. المطمح الأنفس. ط: 1983م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 177

[2]- أيضاً: ص 177

[3]- ابن الآبار، محمد بن عبد الله. اعتاب الكُتّاب. ط: 1961م، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 198

[4]- ابن بسام، على بن بسام. الذخيرة. ط 1: 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، 29/4

[5]- أيضاً: 4/ 32

[6]- عبد الملك بن إدريس. قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب و السُّنّة. ط: 1994م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 66

[7]- أيضاً: ص 48

[8]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 51

[9]- الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ. كتاب الحيوان. ط2 : 1950م، مكتبة مصطفى البابي، مصر، 3/ 443

[10]- المطمح الأنفس. ص 177

[11]- سورة الحاقة 69: 6

[12]- الرازي، محمد فخر الدين . التفسير الكبير. ط: 1981م، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، 30/ 103

[13]- الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري. ط: 2001م، هجر للطباعة و النشر، بيروت، 23/ 210

[14]- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر. دار نهضة مصر، 200/3

[15]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 58

[16]- سورة الأسراء 17: 23- 24

[17]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 58

[18]- سورة الأنبياء 21: 47

[19]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 62

[20]- سورة لقمٰن 31: 18- 19

[21]- سورة الفرقان 25: 63

[22]- جار الله الزمخشرى، محمود بن عمر.تفسير الكشاف. 1998م، مكتبة العبيكان، الرياض، 5/ 18

[23]- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد. تفسير الثعلبي. ط1: 2002م، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 315/7

[24]- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية و النهاية. ط 1: 1997م، هجر للطباعة و النشر،بيروت، 2/ 149

[25]- مسلم بن حجاج. صحيح مسلم. باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء. ط 1: 2006م، دار طيبة، الرياض، ص/ 1214

[26]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 59

[27]- سورة المائدة 5: 118

[28]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 64

[29]- سورة البقرة 2: 189- 199

[30]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 66

[31]- سورة الفرقان 25: 2

[32]- سورة الرعد 13: 8

[33]- سورة المائدة 5: 17

[34]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 66

[35]- سورة الشورى 42: 11

[36]- أمَّا السميع و البصير لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال، و الكمال في كل الصفات ليس إلا الله، و في غير الله صفتين حادثتين. (التفسير الكبير. 27/ 154)

[37]- التفسير الكبير. 27/ 154

[38]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 62

[39]- سورة الأنعام6: 60

[40]- سورة الأنعام6: 2

[41]- تفسير الكشاف. 322/2

[42]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 64

[43]- سورة الحجرات 49: 12

[44]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 60

[45]- سورة آل عمران 3: 134

[46]- أمَّا الفرق بين الغضب و الغيظ هو إنَّ الغضب يتبعه إرادة الانتقام البتّة، و قيل الغضب ما يظهر على الجوارح و البشرة من غيرِ اختيارٍ و الغيظ يقرب من باب الغم. (أبو هلال العسكري. معجم الفروق اللغوية. ص 148)

[47]- أبو هلال العسكري. معجم الفروق اللغوية. ص 148

[48]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 60

[49]- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري. ص 64

[50]- إعتاب الكتاب. ص195

[51]- سورة المؤمنون 23: 8

[52]- سورة الحجرات49 :11

[53]- سورة عبس 80: 39